ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.1].

الإمبراطورية الرومانية في عهد الأباطـرة الأفارقـة
سيبتيموس سيفيروس أنموذجًا

عباس مسرور
أستاذ مساعد (أ) التاريخ القديم
جامعة باجي مختار عنابة
الجمهورية الجزائرية

مُلَخّص

عرفت الإمبراطورية الرومانية العديد من الأزمات والاضطرابات الخطيرة في تاريخها الطويل، كان القرن الأول والثاني ميلادي من بين هذه المراحل الصعبة، ولكن في أخر القرن الثاني ظهرت شخصية ذو أصلية إفريقية، وهو سيبتيموس سيفيروس الذي تمكن من دحر خصومه، واستيلائه على الحكم بالقوة، ولضمان بقائه فيه، انتهج سياسية الإصلاحات في شتى المجالات، التي كانت بمثابة انقلاب على أسس وتقاليد الحكم في روما، هذه السياسة لها إيجابياتها وسلبياتها. نحاول في هذه الدراسة نفض الغبار عن هذه المرحلة الزمنية الهامة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، دون نسيان الإشارة لظروف السائدة قبل وصوله للحكم، والعوامل المساعدة لذلك، وإبراز شخصيته والسياسات المنتهجة وأثارها على روما وعلى إفريقيا، وذلك بالتحليل والاستنباط والمقارنة، للوصول لنتائج تتمتع بالمصداقية التاريخية والموضوعية العلمية. ومن هذه النتائج يعتبر سيبتيموس سيفيروس من الشخصيات المتميزة من خلال دراسة سيرته وأعماله وجهوده وسياسته، خاصة أسلوب الإشراف على الدولة ومبادئ حكمه وكذلك حياته في الأسرة وتأثريه فيها، يتبين أنه كان مُصرًا للوصول إلى غايته بكل الطرق، لقد ابدي مقدرة كبيرة في الحكم والسياسة التي ساس بها جيش الإمبراطورية، حيث وصف عهده بمرحلة هامة في تاريخ الإمبراطورية والنظام الروماني، لقد استطاع هذا الإمبراطور أن يؤسس أسرة قصيرة العمر في الحكم ظلت حوالي ٢٤ سنة، بالإضافة إلى ذلك يعود الفضل أولًا إلى الإمبراطور سيبتيموس في تأجيل الكارثة ولو ظرفيًا والتي عصفت بالإمبراطورية بعد زوال أسرة السيفريين، كل ذلك يبدوا واضحًا في مدى تغلغل النفوذ العسكري وسيطرته على مجمل قطاعات السلطة الإمبراطورية.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٢ أغسطس ٢٠١٩
تاريخ قبـول النشـر: ١٧ نوفمبر ٢٠١٩

كلمات مفتاحية:

الأباطرة؛ الأفارقة؛ الرومان؛ السياسة؛ سيبتيموس سيفيروس

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0057040

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عباس مسرور. "الإمبراطورية الرومانية في عهد الأباطـرة الأفارقـة: سيبتيموس سيفيروس أنموذجًا".- دورية كان التاريخية.- السنة الثانية عشرة- العدد السادس والأربعون؛ ديسمبر ٢٠١٩. ص٢٦ – ٣٦.

مُقَدِّمَةُ

يعتبر الإمبراطور سيبتيموس من الشخصيات البارزة لما عرف من أهمية الدور الذي قام به في التاريخ، هو احد أبرز الأباطرة الرومان، التي ظهرت في عهديه قوة شخصية الأقاليم الإمبراطورية، رغم أنه كان يسود الطابع الروماني، لقد استطاع سيبتيموس بسياسته توحيد الإمبراطورية الرومانية ولم شملها، بعد أن مزقتها الفتن والأطماع الداخلية، وظهرت عدة تمردات وانقلابات في ربوعها، وسط كل هذه الصراعات وصل إلى تحقيق هدفه وهو توحيد الإمبراطورية الرومانية ومنعها من الشتات، بعد تحقيق الوحدة

واستعادة الدولة لقوتها، قادها للنصر في عدة ميادين، كما عمل في فترة خلافته على إرساء سياسة جديدة، وتمت في عصره الكثير من الإنجازات التي مازالت معالمها قائمة إلى يومنا هذا.

ونظرًا للأهمية التاريخية لهذه الفترة، حظيت باهتمام الدارسين والباحثين اعتمادا على ما توفر من وثائق وشهادات تاريخية، بغية الاطلاع على الدور الذي لعبه سيبتيموس في تأمين حدود الإمبراطورية وإخضاع العديد من الشعوب المجاورة للإمبراطورية الرومانية والبراعة التي أظهرها في إدارة شؤون الدولة مستعين في ذلك بالجيش وبنخبة من أمهر رجال العصر.

وللاطلاع على المنجزات العسكرية والسياسية أثناء هذه الفترة، تم اختيارنا لهذا الموضوع لنفض الغبار عن هذه الفترة الزمنية، وعن هذا الإمبراطور دو الأصول الإفريقية، وعليه فإن مقالنا هذا يهدف إلى استعرض هذه الأسباب والظروف والملابسات ونحلل الأبعاد والنتائج التي حققها مشيرين إلى إيجابيات سياسته التي أدت إلى إرساء دعائم دولة قوية دون غض النظر عن سلبياتها، ومن هنا نطرح الإشكال التالي: من هو سيبتيموس سيفيروس؟ وما هي السياسة التي اتبعها في قيادة الإمبراطورية الرومانية؟ وماذا حققه للعالم الروماني بشكل عام وإفريقيا بشكل خاص؟

أولًا: الحياة السياسية في الإمبراطورية الرومانية قبل حكم الأباطرة الأفارقة

كانت هناك عدة اضطرابات في الإمبراطورية، خلال القرن الواحد والثاني للميلاد، بعد موت نيرون (Néron) في سنة ٦٨ م، وبعد دوميتيان (Domitien) في سنة ٩٦م ، ظهرت بوادر أزمة طويلة وخاصةً بعد موت كومودو (Commode) سنة ١٩٢م[١]، كانت نهاية النظام الذي أسسه الإمبراطور أغسطس يعود ذلك إلى سلوك كومودو المشين واستهتاره المطلق، وجريه وراء شهواته وخاصة بحلبة المصارعة وصيد الحيوانات، مستعرضًا لقوته التي جعلته يفخر بأنه هرقل الجديد[٢]، وقد اعتمد كومودو في بقائه في الحكم على قوة الحرس الإمبراطوري الذي اشترى رضاها بالمال وأطلق لجنوده العنان، وهذا ما زاد كراهية المواطنين لهم، ومن الملاحظ أنه ظهرت عدة محاولات لاغتياله، لكنها باءت بالفشل، وهذا ما دفع بالإمبراطور كومودو من زيادة تشديد الحراسة ورفع رواتب الجند، خاصة الحرس الإمبراطوري وترك لهم الحرية في نشر الفساد، هذا التصرف من طرف الجنود ولهو الإمبراطور أدى إلى إفلاس الخزينة ومن هنا بدأ يتصيد الأغنياء والميسورين، بتلفيق التهم ضدهم طمعًا في مصادرة أموالهم وساد حكم الرعب والإرهاب وأصبحت تهمة الاشتراك في مؤامرة للإطاحة بحكم الإمبراطور سيفًا على أعناق الوجهاء والأغنياء، وضاع الإحساس بالأمن الذي ساد في عصر الأباطرة السابقون.

تدهور الاقتصاد في الإمبراطورية أدى إلى نشأة العصابات وقطاع الطرق في بعض الأقاليم مثل إسبانيا وبلاد الغال، حتى وصل الحد إلى إعلان الاستقلال فيهما، حيث انظم إليهم الهاربون من جنود وفلاحين ومعدمين والساخطون على الإدارة المالية بالإمبراطورية، وبالرغم من مجهودات القادة الموالين لكومودو في قمع حركات التمرد، إلا أن هذا الأخير لم يحرك ساكنًا في حل المشاكل مما أدى إلى رفع الأجور بشدة وانحدار الإمبراطورية نحو التدهور وأخيرًا نجحت مؤامرة واحدة أدت إلى اغتيال لإمبراطور كومودو[٣]، الذي خنقه أحد المصارعين حتى الموت داخل حلبة المصارعة، و كان الهدف من وراء ذلك هو منع الإمبراطور من تجديد قنصليته للعام الموالي والتي كانت ستصبح سارية المفعول في اليوم التالي، وضع المتآمرين على العرش هلفيوس برتيناكس (Helvius Pertinax) سنة ١٩٢م، كان شيخًا حاول وضع برنامج لتدارك الوضع الذي آلت إليه الإمبراطورية مما أدى إلى التذمر بين قوات الحرس الإمبراطوري إزاء سياسة الإمبراطور الجديد بسبب إصلاحاته الاقتصادية، لأنه حرمها من البذخ الذي كانوا فيه ينعمون أيام كومودو، فما كان عليهم إلا التخلص منه بعد مظاهرة عسكرية، حيث تم قتله بالقصر سنة ١٩٣م، بعد فقدانه لمؤيديه من كبار الموظفين في الجهاز الإداري.

بعد مصرع برتيناكس عصفت بالإمبراطورية الفوضى، لأن جيوش الإمبراطورية العسكرية المتاخمة خارج الحدود بدأت تتدخل في اختيار الإمبراطور، فكل جيش يريد ترشيح قائده إمبراطورًا ،كذلك سخط هذه الجيوش على قوات الحرس الإمبراطوري إزاء استئثارهم بالعرش وعرضه للمزايدة والبيع، لأن قوات الحرس الإمبراطوري استغلت قيام المنافسة بين عضوين في السيناتو على العرش وحدث ما يشبه بالمزاد العلني العام، إلى أن فاز العضو الثري واسمه ماركوس ديديوس جوليانوس، بعد عرضه لمبلغ قدره ٢٥ ألف سيتركيس للحرس الإمبراطوري وبالطبع رضخ

السيناتو لرغبة الحرس الإمبراطوري ووافق على الترشيح وعاش جوليانوس منغلقًا على نفسه، محتقرًا من طرف العامة ورفقائه في السيناتو[٤]، حتى ثارت القوات العسكرية في الأقاليم الرومانية وقامت الحرب الأهلية التي أدت إلى الاستيلاء على كرسي الإمبراطورية من طرف بوبليوس سيبتيموس سيفروس(Publius Septimius Severus) في سنة ١٩٧م المؤسس لأسرة إمبراطورية جديدة أسرة السيفريين[٥]

ثانيًا: الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور سيبتيموس (١٩٣-٢١١م)

١/٢-شخصيته:

ولد لوشيوس سيبتيموس سيفيروس (Lucius Septimius Severus) في سنة ١٤٥م، من أب يدعى جيتا (Géta) و أم تدعى فلافيا بيا(Fulavia Pia)[٦]، هو أول إمبراطور جندي، في مدينة لبتيس مجنا (Leptis Magna) (المستعمرة الفينيقية الرومانية في الشمال الإفريقي) وهي مدينة لبدة في ليبيا الحالية، يتكلم اللاتينية بنبرة هيلينية، معظم التمردات العسكرية التي توقفت مؤقتًا في عهد سيبتيموس تجددت على أشدها في عهد خلفائه[٧]، تلقى تعليمًا رومانيًا وثقافة لاتينية، درس الفلسفة في أثينا والقانون في روما، تمرس في سلك الوظائف تحت رعاية ماركوس أوريليوس، زوجته الأولى مارسيا(Murcia) كما تولى التربيونية، ثم عين برايتورًا في إسبانيا وحاكمًا على جنوب بلاد الغال وعلى بانونيا ودخل مجلس السيناتو إلى جانب مركزه العسكري كقائد جيش مقاطعة جرمانيا[٨]، كان طموحًا من ورائه زوجته الثانية جوليا دومنا (Julia Damna) السورية الأصل، التي كانت تنحدر من أسرة ثرية بحمص لها مركز كهنوتي كبير، أنجبت له ولدين هما باسيانوس (Bassianus) الملقب كاراكلا (Caracalla) وجيتا[٩]، قلد الإمبراطور ولديه كلا منهما بمرتبة قيصر مع الاسم المعظم أنطونينوس، كما أبحر في نهر النيل إلى الجنوب و أمر بترميم الثقوب الموجودة في تمثالي ممنون اللذان كان يصدران صوتًا خاصة عند الفجر[١٠]، كما قسم ولاية مصر وسوريا إلى ولايتين مثل ما فعل بولاية بريطانيا وزارًا أسيا و ولاية الدانوب، لقد إعترف حول امتلاك العرش قائلًا: "لقد كان هو كل شيء، ولكن ما من شيء كانت له قيمة تذكر"[١١]، كلفته الحملة في بريطانيا حياته بسبب المرض حيث توفي في يورك (Eburacum) يوم (٢١١/٠٢/٠٤م) وتوقف الجيش الروماني عن توسعاته في إسكتلاندا على إثر الحادثة وظل السور حدًا فاصلًا بينها وبين أملاك الإمبراطورية الرومانية[١٢]

٢/٢-ظروف توليه حكم الإمبراطورية الرومانية:

أسفر التفكك المتزايد لمجتمع العبودية عن فوضى تدريجية في الجهاز الحكومي للإمبراطورية الرومانية، في نفس الوقت نمى الوضع العسكري وبشكل استثنائي، بحيث أعطيت القيادات في الدولة للعسكريين الأمر الذي أثار سلسلة من الانقلابات العسكرية والحروب الأهلية من طرف القوات الإمبراطورية المنحلة، خاصة بعد اغتيال كومودو، حيث أتى إلى الحكم إمبراطوران خلال ستة أشهر، (ب.هليفيكس بارتيناكس) و (م. ديريس جوليانوس)، هذا الأخير الذي وصل إلى الحكم بشراء الحرس، عاش منغلقًا على نفسه داخل مقصورته اثر هذه الأفعال شرعت القوات المحتشدة في الأقاليم هي الأخرى بتنصيب قادتها أباطرة.

ثارت القوات العسكرية في الشرق الأوسط وفي سهول الدانوب وفي بريطانيا، رشحت كلها أباطرة من عندها طمعًا في مكافأة مجزية بعد الوصول إلى العرش، ويبدو أن القادة كانت تحلم بالانقلاب حتى قبل تعيين جوليانوس، هتفت قوات الشرق بقائدها جايوس بسكينيوس نيجر (Gaius Pescenius Niger)، والي سوريا إمبراطورًا و ردت قوات الدانوب بالمثل هاتفةً بقائدها وحاكم منطقتها بانونيا (Pannonia) إمبراطورًا، المدعو سيبتيموس سيفيروس،وفي نفس الوقت نادت القوات المتاخمة في بريطانيا بقائدها كلاوديوس البينوس (Claudius Albinus) إمبراطورًا[١٣]، لكن جيش الدانوب بقيادة سيبتيموس دحر خصومه واستولى على روما وأسس بعد أن وصل إلى العرش الأسرة التي حملت اسمه من(١٩٧-٢٣٥م)[١٤].

إن أهم الأحداث السياسية التي تصدرت القرن الثالث وأكثرها تأثيرًا على مجريات الأمور في الإمبراطورية الرومانية، هي ارتقاء العائلة السيفرية عرش الإمبراطورية، لقد وصل سيبتيموس إلى العرش بقوة السلاح معتمدًا على جيشه الذي وهبه السلطان مقابل عطاؤه السخي، وظل الجيش إلى جانبه، ومع الضغط على مجلس الشيوخ للإذعان والاعتراف له بعرش الإمبراطورية، فأصبح سيبتيموس إمبراطورًا شرعيًا بعد أن قضى على خصومه، وكان أقواهم وآخرهم كلاوديوس البينوس الذي قتل في ليون سنة ١٩٧م. ثم تفرغ بعدها إلى خصومه في العاصمة روما

وفي الولايات الأخرى وتهدئة سكان المقاطعات الرومانية في الشرق والغرب.

كان لضخامة الجيوش أثر في ترجيح كفة ميزان الصراع على العرش، حيث نجد البينوس يقود ثلاث فرق، أما نيجر كان يقود تسعة فرق وسيبتيموس فكان يقود اِثْنَتَا عَشْرَةَ فرقة، فضلاً عن تواجده بالقرب من إيطاليًا، كان التأييد العام يميل نحو نيجر، خاصةً من جانب السيناتو والشعب الروماني ولكن سيبتيموس كان أسرع منه في التصرف فدخل روما من الشمال وأضاف اسمه إلى الراحل برتيناكس ليلغي وجود جوليانوس القانوني من ناحية، ومن ناحية أخرى لكي يظهر نفسه منتقمًا لمصرع برتيناكس ووريثًا له كإمبراطور. كما أعلن نفسه أنه ابنًا متبنًا لماركوس أوريليوس وأرغم السيناتو على تأليه أخيه بالتبني كومودو كما زعم، كذلك غير اسم ابنه باسيانوس الذي أشتهر فيما بعد بكراكلا وسماه ماركوس أوريليوس انطونينوس، وهذا لعدة أسباب ربما بدافع ربط أسرته بهذه الأسرة أو لهدف وراثة ضياع انطونينوس التي ضمها إليه، أو بسبب إعجابه به[١٥]. لما أحست قوات الحرس الإمبراطوري بنوايا سيبتيموس هجرت جوليانوس وانفضت من حوله، هذا الأخير الذي أظهر عدائه لسيبتيموس قبل دخوله روما حيث أعلن باسم السناتو أن سيبتيموس عدو الشعب[١٦]، على إثر هذا الوضع رضخ السيناتو لسيبتيموس وأنعموا عليه بالألقاب التشريفية وأدانوا جوليانوس بالحكم عليه بالإعدام[١٧].

كان على سيبتيموس التخلص من أعدائه ومنافسيه خاصة نيجر والي سوريا ومن أجل ذلك هادن البينوس قائد بريطانيا واستدعاه لتولى مهمة أخرى[١٨]، ثم استدعى سيبتيموس قواته إلى الخدمة لمحاربة نيجر الذي كان قد ضمن لنفسه مبايعة الولايات الشرقية، وكان نيجر يحظى بموقع استراتيجي هام لأنه يمكن أن يقطع القمح المصري عن روما فترضخ خوفًا من المجاعة، ولهذا السبب قام سيبتيموس ببعث فرق عسكرية إلى إفريقيا لقطع الطريق على نيجر خوفًا من استيلائه على مصر وليبيا، كذلك بعث بفرق أخرى إلى بلاد اليونان و تراقيا[١٩]، تحرك نيجر واستولى على مدينة بيزنطة ليتحكم في مدخل البوسفور والدردنيل، وما إن وصل سيبتيموس حتى حاصر بيزنطة وأحرز عدة انتصارات جعلت من نيجر يرجع و يحتمي بجبال طرسوس بسوريا في سنة ١٩٤م، ثم لاحقه سيبتيموس وهزمه في إيسوس في نفس المكان الذي هزم فيه الإسكندر الكبير ملك الفرس دارا (داريوس)، واتجه نيجر نحو الفرات[٢٠] محاولًا الهروب إلى مملكة البارثيين، لكن جنود سيبتيموس لحقت به وقتلته[٢١].

انتقم سيبتيموس من المدن والقوات التي أيدت خصمه، مثل أنطاكيا (Antioche) التي أمدت نيجر بالمال والرجال، وقام كذلك بإعدام رجال السيناتو الذين حاربوا إلى جانب نيجر بصفة قادة (Tribun)[٢٢]، ثم قام بغزو لبلاد، شمال ما بين النهرين وحاول محاربة البارثيين، لولا استدعائه العاجل لمواجهة خطر الانقلاب الذي قام به البينوس سنة ١٩٥م في هذه الأثناء استسلمت بيزنطة بسبب الحصار الذي أدى إلى المجاعة، حيث هدمت أسوارها وقتل أعضاء حكومتها وصودرت أموال مواطنيها.

جلس البينوس على عرش الإمبراطورية الرومانية بعد غياب سيبتيموس، ومما ساعده للخروج عن طاعة سيبتيموس هو السيناتو وزوجته خاصة، الذين لقبوه بلقب أغسطس وقبل البينوس تحدي سيبتيموس حيث جمع قواته عند لوجدونوم (Lugdunum) (ليون حاليًا بفرنسا)، قام سيبتيموس بتعيين ابنه باسيانوس الذي عرف باسم كاراكلا قيصرًا وولي عهده، ثم سار غربًا لملاقاة خصمه البينوس.

في فيفري سنة ١٩٧م، انتصر سيبتيموس على جيش خصمه البينوس الذي وضع حد لحياته بيده قام بعدها سيبتيموس بتأديب سكان مدينة ليون، وذلك بتركه للجنود الحرية في القتل والنهب وإشعال النار في المدينة[٢٣]، وكما أسلفنا أنه من هذا التاريخ آل عرش الإمبراطورية إلى عائلة إفريقية ليبية خلال الثلث الأول من القرن الثالث ميلادي، هي عائلة سيبتيموس من لبدة التي استطاعت الاحتفاظ بالتاج من(١٩٧-٢٣٥م)، وإحداث تغيرات جوهرية في تاريخ الإمبراطورية[٢٤].

ثالثًا: سياسته

يمثل عهد سيبتيموس نقطة تحول في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، حيث كان عليه لبلوغ السلطة أن يتغلب على كل خصومه، وهكذا اضطربت أحوال الإمبراطورية واهتزت أركانها بنشوب الحرب الأهلية، كما أختل الميزان الاقتصادي وخاصةً بازدياد رقعة أراضيه الخاصة التي استولى عليها نتيجة مصادرته ممتلكات خصومه، كما لا ننكر صفاته التي تجلت في قيادته وبطشه و وحشيته بخصومه المتمثلين في طبقة النبلاء والمثقفين الذين كانوا حاشية الإمبراطور

السابق، فقد استوجب عليه التغيير حيث التجأ إلى اختيار ولاته وحاميته من طبقة أخرى تختلف عن سالفتها في النشأة والنظرة إلى الحياة، لقد أدرك سيبتيموس الأهمية الحيوية التي ترتبط بتكوين جيش كبير يدين له بالولاء، لهذا قام بالعديد من الإصلاحات في شتى المجالات.

١/٣-السياسة العسكرية:

لقد استولى سيبتيموس على العرش بقوة السلاح والجيش، الذي وهبه الحكم والسلطان وقام بإكراه مجلس السيناتو على قبوله وإعطائه الصبغة الشرعية[٢٥]، لقد اعتمد على الجيش في فلسفة حكمه هو الذي جعله يفعل ذلك، إذ أن سكان المقاطعات وحدهم هم الذين كانوا يقبلون على العمل في الجيش بعد تنظيمه الجديد.

ولكي يرضي السيناتو ترك لهم الأمر ليحاكموا أعضائه الفاسدين إزاء ذلك أذعن السيناتو لمطالبه، وألقى بقاتل كومودو الملقب بنارسيس (Narcisse) إلى الأسود[٢٦]، وحاكم كل أتباع وأنصار جوليانوس وقتلة برتيناكس من قوات الحرس الإمبراطوري واستبدلها بقوة جديدة من جنوده من جيش الدانوب، وبذلك ضمن لنفسه تأييد حرس جديد انتقاهم بنفسه[٢٧]،و أخيرًا وجد سيبتيموس نفسه إمبراطورا لا ينافسه أحد في الحكم، على إثر انقطاع العلاقة بينه وبين البينوس ونهاية نيجر نشبت الحرب بينه وبين مجلس السيناتو لأنه خرج على نظام التبني بعدما قام بإشراك ابنه كاراكلا معه في الحكم[٢٨]، أدرك أنه يتوجب عليه اقتلاع جذور المتآمرين في روما، حيث استخدم عنفًا لم يسبق له مثيل، وراح يستأصل كل مؤيدي البينوس في كل البلدان بلا رحمة أو شفقة، و في روما أعدم تسعة وعشرون عضوًا من أعضاء السيناتو بتهمة التآمر والخيانة العظمى[٢٩]، وساد الرعب والخوف، وأذعن السيناتو لكل مطالب الإمبراطور و وافقوا على تعيين ابنه كاراكلا كخليفة منتظر (Imperotor Designatus)، وهكذا أصبح الجيش الروماني لأول مرة ممثلًا لكل شعوب الإمبراطورية عن طريق فتح التطوع أمام الجميع، وفي سنة ١٩٩م عندما زار مصر أمرًا بإدخال تعديلات إدارية، منها منح الإسكندرية مجلسًا تشريعيًا وكذلك باقي مدن مصر[٣٠]، هذه الخطوة كان يقصد بها توحيد النظم في سائر أرجاء الإمبراطورية الرومانية.

في هذه الأثناء استغل ملك البارثيين فولوجاسيس الرابع (Volojacis IV) الصراع حول العرش بروما حيث استولى على أرمينيا وشمال بلاد ما بين النهرين، وجد الإمبراطور سيبتيموس نفسه في قتال مفروض عليه وحروب مستمرة منذ سنة ١٩٧م ، قاد حملة كبرى بنفسه ضد الفرس في الشرق، وصل بجيشه شتاءً (١٩٧-١٩٨م) تراجع البارثيين ورفعوا الحصار الذي فرضوه على قلعة نيسبيس (Nisbis) الرومانية[٣١]، قضى الإمبراطور الفترة ما بين سنة (١٩٩-٢٠٢م) في تجوال دائم، حيث أقام هناك سنوات حتى ٢٠٢م، أخمد خلالها نيران التمرد بمقاطعات الشرق وأجرى هناك إصلاحات إدارية وعسكرية[٣٢].

عندما هاجم سيبتيموس مملكة البارثيين وانتهى باحتلال عاصمتهم (طيسفون) على شاطئ دجلة وأنشاء ولاية ما بين النهرين قام بملاحقة البارثيين[٣٣]، من بعد هذه الهزيمة زالت مملكتهم وتوارتهم منذ تلك الفترة[٣٤]، قضى الإمبراطور سيبتيموس مدة عامين بإفريقيا ووضع عدة استحكامات على الحدود ورفع عدة مدن إلى المساواة في الحقوق مع الرومان، ثم فصل إقليم نوميديا عن إفريقيا، ومن الملاحظ أن الإمبراطور كان يتخذ طابع تفتيت الولايات الكبرى حتى يعطيه ذلك فرصة في السيطرة المطلقة وكذلك ليحول دون أحلام التمرد والانفصال الذي كان يراود بعض حكام الولايات الكبيرة، في سنة ٢٠٨م زار بريطانيا ورد القوات الزاحفة إلى حدود إسكتلندا ثم جعل حائط هادريانوس الشهير حدًا فاصلاً بين بريطانيا الرومانية والقبائل الشمالية، من هنا أنعم على ابنه جيتا بلقب أغسطس سنة ٢٠٩م و رفعه من درجة قيصر.

لم يضمن الإمبراطور ولاء الجيش له ولهذا لم يقوم برفع راتب الجندي فحسب بل سمح له بعقد قران روماني شرعي أثناء مدة خدمته، وبأن يعيش خارج الثكنات ومن ثَمَّ يصبح أبنائه مواطنين رومانيين يتمتعون بكافة حقوق المواطنة الرومانية، كما لا يلغي أن يتبع هؤلاء الأبناء حرفة آبائهم. كل هذا العمل نتيجة لصد الخطر الذي كان يداهم الإمبراطورية[٣٥]، ضرب بيد لا ترحم الأرستقراطية الرومانية التي وقفت إلى جانب خصومه، حيث أبيد عدد كبير من أسر الأعيان، كما مكنته المصادرات الوحشية من إشباع أتباعه، قام بمضاعفة رواتبهم وصار من حق الجندي البسيط أن يدخل صف الضباط كما سرح الإمبراطور الفصائل الإمبراطورية المشكلة في إيطاليا، وألف حرسًا جديدًا، أختاره من صفوة جنود الأقاليم، بحيث أصبحت روما تغص بالعساكر، وجود أكثر

من فرقة في إيطاليا يمكنه الاعتماد عليها وخاصة في محاربة بعضهم البعض عند الضرورة، حيث حشد الألبانيين ليقفوا بالمرصاد للحرس الإمبراطوري، وعساكر التموين في وجه الفرسان الممتازين، كل هذا كان تأهبًا في حالة السعي لإسقاط الإمبراطور عن العرش[٣٦]، كما أذن للقوات المعسكرة على الحدود بامتلاك قطعة أرض، ليعيش الجندي مع أسرته وفي موطنه، ولا يأتي إلى الثكنة إلا من أجل التدريب كما شرع بوضع الجيش في خدمة سياسة خارجية حازمة[٣٧].

تمكن سيبتيموس من السيطرة على الوضع في الإمبراطورية، و أعاد الأمن و الطمأنينة للنفوس كما دحض أعداء روما المتاخمين على الحدود، خاصة الكاليدونيين، الذين اجتاحوا معظم الجزيرة البريطانية مما اضطر الإمبراطور إلى محاربتهم وقيادة الجيش بنفسه، إلى جانب ولديه كاراكلا وجيتا، في هذه الحملة سنة ٢٠٨م دحر الأعداء وقام بإعادة بناء سور هادريان الذي حطموه[٣٨].

قام بإصلاح المجال العسكري فعدل الجيش، وغيّر قياداته لضمان الولاء، وأسند الوظائف الإدارية لجنود مخلصين، فافتح المجال أمام الضباط للوصول إلى أعلى المناصب في إدارة الإمبراطورية، وأعترف بشرعية الزواج الذي يعقده الجنود مع نساء غريبات[٣٩]، كما سبق وذكرنا، أثناء أداء تأديتهم الخدمة العسكرية والاعتراف بشرعية الأبناء الذين يولدون من هذا الزواج (Ex Castris)، بل وسمح للجنود المتزوجين بحق الإقامة مع عائلاتهم بالقرب من المناطق التي تعسكر فيها القوات التابعين لها.[٤٠]

وبعد الاستقرار سارع بتوزيع المنح (Congiaria) على الجنود وعلى الشعب كذلك، وزاد رواتب الجند بمقدار الثلث تقريبًا، يرى البعض أن هذه الامتيازات منحت إجباريًا لا اختيارًا وتحت دافع الحاجة إلى تأييد الجيش للحكم ولم يعدّ الإمبراطور قادرًا على منح فرقة معينة امتيازًا خاصًا دون الأخرى كما كان يحدث سابقًا. كانت وجهة نظره عدم احتكار الحكم من طرف الرومان والإيطاليين والسماح لسكان المقاطعات بالتمتع بهذه الحقوق التي حرموا منها منذ أمد طويل، ولتحقيق ذلك اتبع طريقتين الأولى تقليل من امتيازات إيطاليا، ومعاملة الولايات الأخرى بدون تمييز. ظهرت سياسته الداخلية اهتمامًا لم يسبق له مثيل لمصالح الرعايا الذين يعيشون بعيدًا في الأقاليم خاصة مشاكل الإدارة والحكم، ولم يكن له اتجاه قومي معين وهذا ما نلاحظه عند توزيع مهام الإدارة والعمل، خاصة لقدماء المحاربين وقام كذلك بإعفائهم من أداء الخدمات البلدية (Munera)[٤١]، رغم هذا أتهم بأنه لا يحمل شعورًا وطنيًا للإمبراطورية بقدر ما يحمل لولايته الأصلية في إفريقيا.

ومن التجديدات التي قام بها تعيين قائدين لقوات الحرس الإمبراطوري بدلاً من قائد واحد، حيث وصل لهذه النتيجة بعد تجربته مع قائد قواته البرايتورية جايوس فلوفيوس بلاوتيانوس (Caius Fulvius Plautianus)، إستغل هذا الأخير زمالته للإمبراطور في تدعيم مركزه، حصل على مقعد في السيناتو وتولى القنصلية ونظم زواج ابنته بلوتيلا من كاراكلا رغم معارضة أمه جوليا دونما[٤٢]. وفي عهد بلاوتيانوس ازدادت مسؤوليات قائد الحرس الإمبراطوري[٤٣]، أصبح يشرف حتى على حصص القمح (Annona)،و ينظر في القضايا المدنية الواقعة على مسافة ١٠٠ ميل على مركز العاصمة و نزع هذا الحق من القضاة السيناتوريين الذين أصبحوا ينظرون في قضايا الأقاليم فقط، كما أصبح يقوم بالاستماع في قضايا الاستئناف والفصل فيها باسم الإمبراطور، أزعج تضخم مركز بلاوتيانوس كل من جوليا دومنا وابنها كاراكلا فدبرا له مؤامرة للقضاء عليه سنة ٢٠٥م وهي اتهامه بالخيانة العظمى ثم دبرا بعدها اغتياله، ومن هذه اللحظة تفادى الإمبراطور ما حدث بتعيين قائدين حتى يراقب كل منهما الآخر[٤٤].

كان يسير مبدئيًا على سياسة حكام الإمبراطورية من سبقوه منذ وقت طويل، فلم يكن هناك أي انقلاب ثوري في سياسته هذه، ولكن جعل سياسة قيادة الإمبراطورية بأسلوب عسكري، وبصيغة ديمقراطية، كانت هذه السياسة نتيجة لأزمة اغتصاب السلطة وإنشاء ملكية وراثية جديدة، حتى أنه رفع صورته وصورتي ابنيه على تيجان الكهنة (Flamines) في البلديات بدلاً من صور آلهة الكابتول[٤٥].

٢/٣-سياسته الاقتصادية:

الجانب السلبي في سياسته يتسم بتشديد رقابة الدولة على الجمهور ومصالحه وذلك عن طريق أجهزة ذات طابع عسكري، بحت، من العوامل التي ساعدت على ظهور شخصية سيبتيموس هو التدهور الاقتصادي المفاجئ في الإمبراطورية الرومانية، مما دعاه إلى اتخاذ سلطات فوق القانون لمواجهة هذا الانهيار، وبالفعل نجح في تحسين وضع الاقتصاد قليلاً بزيادة الضرائب، ولكن التدهور غطى على الإصلاح هذا

ما اضطره إلى تخفيض قيمة العملة الرومانية وذلك بالتقليل من وزن الفضة والذهب التي ألحقت بالتجارة الداخلية الخراب، كما هدد مستأجرا الأراضي التابعة للإمبراطور بترك الأرض إذا ما استمر إلزامهم إجباريًا للقيام بأعمال إلزامية في المدن التي تقع حقولهم في زمامها مما يعطلهم عن فلاحة الأرض التي يدفعون عنها الضرائب والرسوم، حتى أن بعضهم هجر الأرض وانضم إلى العصابات في الجبال، وقد قام بعض الفلاحين برفع شكاوي إلى سيبتيموس حول ظلم الأغنياء الذين اغتنموا غياب الفلاح في أداء الواجب نحو الإمبراطورية، حيث استولى الأغنياء على الأراضي[٤٦]، ومما زاد في صعوبة مهمة الإمبراطور انه ورث خزانة فارغة بسبب نفقات الحرب قبل وبعد توليه الحكم، ولكن تغلب على العجز عن طريق مصادرة أملاك أعدائه، مما تطلب إنشاء خزينة خاصة (Ratio Privata)[٤٧].

كان كذلك لسياسته وجهًا آخر إيجابي المتمثل في إطلاق الحرية لرجال الشرع، فظهر القانون في عهده متصف بالنبل والشمول والإنسانية وبرزت فكرة العدالة البشرية، فمن حق الجميع أن ينعموا بالمساواة، هذا مما أدى إلى ظهور تشريعات في عهده اتسمت بالعطف على ضعاف الناس من فقراء وفلاحين تحميهم من ظلم الطبقة الحاكمة و تعسف الإدارة الإمبراطورية، لقد ساس الإمبراطورية على نحو حقق له التوازن في الولاء من طرف أهل المدن والأرياف على السواء لقد أظهر تفهمه لسكان المدن وأغدق عليهم مثل ما هو الحال بالنسبة للريفيين، ونالت المدن التي وقفت إلى جانبه ضد خصومه حظًا كبيرًا من العناية ،مثل مدن إفريقيا، سوريا والدانوب التي عمها الرخاء وساد فيها الازدهار وارتقى الكثير منها أعلى درجات السلم الإداري، وخصّها الإمبراطور بالهبات والمباني ذات المنفعة العامة والمنشآت التذكارية، خاصة في إفريقيا، أقام بها الصروح والتماثيل و أقواس النصر تعبيرًا عن تعلقه بها، وهناك مدن لاقت ضنك العيش وشدة في التسيير ومضايقة من طرف الحكام، خاصة المدن التي اشتهرت بموقفها العدائي للإمبراطور الإفريقي مثل بيزنطة، ليون و أنطاكيا[٤٨]، اعتمد سبتيموس على خيرة الأعلام في التشريع والقانون الروماني كان أحدهما بابينيانوس (Papininus) سوري الأصل، كما ضم إلى مجلسه الاستشاري اثنين آخرين من شيوخ الفقهاء القانونيين وهما باولوس واولبيانوس سوري الأصل[٤٩]، كان هؤلاء متشبعين بالثقافة الهيلينية الشرقية بالإضافة إلى تعليمهم الروماني، كما قام بتعيين مدرسين لتعليم أهل القرى ،وضع عدة لوائح إنسانية، منها تحريم الإجهاض وحماية حقوق الزوجات ورعاية الأسر الفقيرة، وفي عهده وزع الدواء مجانًا على المرضى بإشراف الطبيب جالينوس[٥٠].

بعد عودته إلى روما استقل إلى إفريقيا سنة ٢٠٣م لتهدئة الأوضاع وانتزاع الولاء من الطبقة الأرستقراطية في مدن الولايات الإفريقية، خاصةً أن الطبقة الأرستقراطية كانت تحظى بمكانة مرموقة في تلك الولايات نظرًا لدورها الاقتصادي ومنزلتها المعنوية في المجتمع، فضلاً عن الثقل الذي كانت تمارسه لدى فرق الجيش الولائي، وفي عهده تدفق الجنود المسرحون (Reterani) على الوظائف في الولايات، وشغل الضباط الصغار الكثير من الوظائف التي كان يشغلها رجال طبقة الفرسان التي أحالها محل طبقة السيناتو.

قام بمنح الجمعيات والرابطات (الصناع والتجار) (Collegia) مقابل المساعدة في إطفاء الحرائق عند نشوبها في المدن، أما أصحاب السفن فكانت لهم رعاية خاصة لأن سفنهم تقوم بخدمات هامة (Munus Publicum) نظرًا لجمعها ونقلها المؤن خاصة أثناء الحملات، قام بمنحهم امتيازات منها إعفائهم من أعباء البلديات، كذلك منح مستأجري الضيعات الإمبراطورية نفس الامتيازات باستثناء التكليف من طرف الدولة بأداء أعمال خيرية أخرى[٥١].

٣/٣-الجوانب الإيجابية والسلبية لسياسته:

يعتبر تولي سبتميوس منعطفًا خطيرًا في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، منذ بداية تولي العناصر الدخيلة القيادة والسلطة، ولكن على الرغم من ذلك حاول التحلي بمزايا الأباطرة الأولين وهذا ما نلاحظه عندما غير اسم ولده باسيانوس الذي اشتهر باسم كاراكلا، كان شديد الإعجاب بسلفه ماركوس أوريليوس، حيث كانت عقلية سيبتيموس مزيجًا من البيروقراطية والعسكرية و واقعية التفكير السياسي حسب مشاكل العصر وأخطاره[٥٢].

(٣/٣) ١-الجوانب السلبية:

- لقد أصاب سبتيموس الروح العسكرية في الصميم بسلوكه هذا الذي اتخذه سبيلاً مع جنوده للحفاظ على العرش وهذا ما نلاحظه في مقولته الشهيرة التي أوصى بها ولديه، وهو على فراش الموت حيث قال: "أوصيكما بالاتحاد وإجزال الغنى إلى

الجنود وازدراء البقية" أو كما يقول آخرون "أجزل العطاء للجيش ولا تبالي بالآخرين". لقد أثارت هذه المقولة حفيظة المؤرخين ومنهم من نفاها عنه، ولكنها تطابق سياسته العامة وتعبر بصدق عن المكانة المرموقة التي حظي بها الجيش لديه، تلك المكانة التي ضمنت لأسرته وراثة العرش من بعده[٥٣].

- قام بوضع أساس مقدس للأسرة الحاكمة، حيث أصبح الإمبراطور رسميًا يعرف باسم المولى (Dominus) وروما مقر قصره تعرف بالمدينة المقدسة (Urbs Sacra)، غيرَ أساس الحكم من أساسه ليتخذ طابع الأوتوقراطية العسكرية أو الحكم العسكري الانفرادي والمطلق[٥٤].
- فرض لأول مرة على إيطاليا تواجد قوات الجيش على أراضيها وبالقرب من روما مثلها مثل باقي المقاطعات الرومانية الأخرى.
- اعتبر أن الجيش هو جوهر السلطة والحكم ومصدرها، حيث أعطى الجنود وضعًا مميزًا، ولهذا اتهمه المؤرخين الأوروبيين بأول من زرع الديكتاتورية العسكرية، ومن المزايا التي تحصل عليها الجنود في عهده، زيادة كبيرة في الرواتب بلغت مقدار الثلث بحجة تعويضهم عن زيادة الأسعار التي ارتفعت في عصر كومودو.
- لقد جمع بين يديه ثروة طائلة من العقار خاصة بعد إنشائه للمصلحة الخاصة والتي من خلالها ملء خزانة الإمبراطورية، حيث سخا بهذا المال الذي جمعه من المصادرة و الإتاوات لرشوة الجنود و رعاع الرومان وهذا لتنمية مصالحه وإرضاء مطامعه الشخصية فقط[٥٥].
- نتج عن ذلك ظهور المساكن الحقيرة بجوار الثكنات العسكرية، تقيم فيها زوجات الجنود وأبنائهم، وأتاح لهم العيش في شكل مجموعات بهدف إنماء عددهم، ذلك أدى إلى انهيار الروح العسكرية بصفة تدريجية، لدى الجندي الروماني[٥٦].
- إن مصادرة الأراضي عصفت بالحياة الاقتصادية، فرأس المال الخاص والابتكار الفردي استبعدًا، وحل محله نظام إداري بيروقراطي جديد لا حياة فيه، إن رأس الفساد في الإمبراطورية هم العدد الغفير من عمال الإمبراطورية وأكثرهم الجند ومنهم عساكر التموين (Frumentarii) الذين يقومون بواجب الشرطة، وجنود الثكنات (Stationarii) والشرطة الحربية (Colletiones) هؤلاء كانوا يبتزون الناس، وخاصة في الحروب حيث لم تراعى مصالح الشعب، فنجد التجنيد الإجباري و اغتصاب وسائل النقل وخدمة الجيوش القهرية من طرف الشعب (تموين، إيواء، جمع التبرعات...) هؤلاء الجنود الذين كانوا ينقضوا على القرى والمدن كالجراد الذي يجري على الأخضر و اليابس، أدى ذلك كله ببعث الالتماسات إلى الإمبراطور من أجل إنصافهم ولكن لم تأخذ شكاويهم بعين الاعتبار من طرفه، وعلى إثر هذا ظهر الساخطون على موظفي الحكومة ومن هنا ظهرت حالة الفرار من الحقول و الانضمام إلى العصابات المسلحة، ولهذا لا يمكن أن نقول أن عصر سيبتيموس كان عصر رخاء و رفاهية[٥٧].
- يلاحظ أن قيمة العملات الفضية أخذت في الهبوط المستمر منذ عهد الإمبراطور أوريليوس (١٦١-١٨٠م) الذي أنقص العملة إلى ٧٥ % من الوحدات الفضية، و بلغ مقدار النقص في قيمته ٥٠%من الوحدات الفضية تحت حكم سيبتيموس (١٩٣-٢١١م)، ثم واصل العملة انخفاضها حتى صارت في عهد جالينوس (٢٦٠-٢٦٨م) عملة نحاسية مغطاة بطبقة رقيقة من الفضة بلغت ٥٠ % من الوحدات الفضية[٥٨]، في هذا النصف قرن الروماني خفضت قيمة النقد الإمبراطوري إلى درجة الصفر، وتعرضت البلاد إلى هجمات من وراء الحدود كلها مخربة منها انتصار القوط على أسيوس وقتله (٢٥٠-٢٦٠م) والفرس على فاليريان وأسره، حتى أن المرتبات تمت في بعض الوقت عينيًا والتجارة تمت بالمقايضة[٥٩].

غفر معاصروا سبتيموس له ضروب القسوة التي استهل بها عهده، حين نعموا بالسلم والمجد بعد ذلك ولكن الأعقاب الذي خبروا الآثار الفتاكة لمبادئه ولمن حذا حذوه، اعتبروه حقًا المنشئ أو المخطط الأساسي لاضمحلال الإمبراطورية الرومانية[٦٠].

(٣/٣) ٢-الجوانب الإيجابية:

- منح لبعض سكان الولايات الحق الإيطالي، هذا الحق يعطي نفس الامتيازات الاجتماعية والتشريعية للمواطنين، وكان اهتمامه خاصة بولاية إفريقيا وصقلية.
- ألغى احتكار تجنيد القوات الإمبراطورية من بين الرومان والإيطاليين وفتح الباب لجنود المقاطعات الأخرى حتى يكسر سيطرة الرومان والإيطاليين

على هذه القوات التي كثيرًا ما كانت تصنع الأباطرة، حتى أنه حرم على الرومان الدخول في هذه القوات ولم يلغى هذا القانون إلا في بداية القرن الرابع الميلادي.

- كسر احتكار الرومان لعضوية السيناتو وفتحها أمام جميع سكان الإمبراطورية حتى أن الإيطاليين لم يعد يشغلون سوى ثلث المجلس.
- لقد حطم سيبتيموس الطبقة السياسية العازلة بين الرومان والمواطنين في الولايات الأخرى وهدم كل أعمال هادريانوس الذي حاول أن يجعل فاصلاً بين ولايات الغرب والشرق.
- كما فتح الوظائف المدنية أمام العسكريين وسهل لهم الترقيات ومنحهم الامتيازات بعد التسريح من الجيش، كما سمح لهم بفلاحة الأرض الواقعة حول المناطق التي كانوا يعسكرون فيها، وإنشاء القرى الدفاعية المسلحة خاصة على الحدود، كما زاد من كفاءة الجنود القتالية بتشجيع التخصص في أنواع الأسلحة، ودفع الفرسان لتولي قيادة هذه التخصصات، وانتزع المراكز القيادية من السيناتو نظرًا لتدهور الروح العسكرية عند هؤلاء، وهذا يعتبر تحطيم للتقليد الطبقي الروماني الذي كان متبعًا بدقة منذ أيام أغسطس، كذلك أنشأ قوة عسكرية متحركة يقودها بنفسه، وقد ازداد عدد الفرق في فترة حكمه من ٣٠ إلى ٣٣ فرقة عسكرية.

خَاتِمَةٌ

من خلال الدراسة يمكن لنا من خلال شخصيته وأحوال الإمبراطورية قبل استيلائه على العرش، والتغييرات السياسية والعسكرية والاقتصادية وحتى الاجتماعية التي أحدثها في مختلف دواليب الحكم في الإمبراطورية الرومانية أثناء حكمه، أن نخرج بالنتائج التالية:

- يعتبر عهد سيبتيموس سيفيروس نقطة تحول حقيقية نحو فقدان العنصر الروماني والإيطالي السيطرة على زمام الإمبراطورية الرومانية، خاصة الجيش الذي لم يعد في القرن الثالث للميلاد رومانيًا، وحتى منصب الإمبراطور.
- هو من الشخصيات المتميزة من خلال دراسة سيرته وأعماله وجهوده وسياسته، خاصة أسلوب الإشراف على الدولة ومبادئ حكمه وكذلك حياته في الأسرة وتأثريه فيها، يتبين أنه كان مُصرًا للوصول إلى غايته بكل الطرق، لقد ابدي مقدرة كبيرة في الحكم والسياسة التي ساس بها جيش الإمبراطورية، حيث وصف عهده بمرحلة هامة في تاريخ الإمبراطورية والنظام الروماني، لقد استطاع هذا الإمبراطور أن يؤسس أسرة قصيرة العمر في الحكم ظلت حوالي ٢٤ سنة، بالإضافة إلى ذلك يعود الفضل أولاً إلى الإمبراطور سيبتيموس في تأجيل الكارثة ولو ظرفيًا والتي عصفت بالإمبراطورية بعد زوال أسرة السيفريين، كل ذلك يبدوا واضحًا في مدى تغلغل النفوذ العسكري وسيطرته على مجمل قطاعات السلطة الإمبراطورية.
- لقد استطاع سيبتيموس أن يصل إلى غايته، في الانتصار على خصومه ونجاحه في تحقيق الوحدة، وتمكن من حل معظم المشاكل التي لاقته بفضل اعتماده على الجيش، فحين ترك الدولة لابنه كاراكلا كانت هادئة خالية من التعقيدات خزينتها مليئة تكفي روما لسنوات، وذلك ما جعل فتره خليفته تتسم بالاستقرار.
- حفظ الإمبراطورية وتثبيت دعائمها مع تمكينها من البقاء والاستمرار ولو مؤقتًا، وهذا ما نلاحظه في مصادرة الأراضي التي عصفت بالحياة الاقتصادية، فرأس المال الخاص والابتكار الفردي استبعدًا، وحل محله نظام إداري بيروقراطي جديد.
- تحقيق وحدة الإمبراطورية ولو بشكل ظرفي، ساعدًا ذلك في ضمان بقائها ونموها وازدياد

قوتها، وكان ذلك على حساب ابتزاز الناس من طرف مـوظفي الإدارة، وخاصـة في الحـروب حيـث لم تراعـى مصـالح الشـعب، فنجـد التجنيـد الإجبـاري واغتصاب وسـائل النقـل وخدمـة الجيـوش القهريـة من طرف الشعب.

- العمل على تقوية الإمبراطوريـة عسكريًا وجعلها تسترد مكانتها وهيبتها وسيادتها على الأعداء من خلال التوسعات خارج حدودها وذلك بإضافة أقاليم جديدة إليها، وخاصة في بريطانيـا، إفريقيـا وآسـيا، وفي نفـس الوقـت أصـيبت الـروح العسـكرية في الصـميم بالسـلوك الـذي اتخـذ سـبيلًا مـع الجنـود للحفـاظ عـلى العـرش، حيـث أعطـي الجنـود وضـعًا مميـزًا متمثـل في توزيـع المـال الـذي جمعـه مـن المصـادرة والإتـاوات لكسـب الجنـود وهـذا للحفـاظ على مصالحه الخاصة.
- وضـع أسـاس السـيادة الاقتصـادية للإمبراطوريـة بإصدار عدة تعديلات في العملة والضريبة للحفاظ عـلى اقتصـاد الدولـة، لكـن ذلـك أدى إلى انخفـاض مسـتمر في قيمـة العمـلات الفضـية في فـترة حكمه.
- منح المواطنة الرومانية لجميع سكان الإمبراطورية الذين لم يطالهم هذا من قبل، هذا القرار لم يكـن لـه أهميـة حقيقيـة تـذكر، لأن عـبء الخـدمات والضرائب بقـي عـلى حالـه، واتسـعت الهـوة بـين سكان المدن والريف، في الواقع هذا القرار أنهـى حكـم الدولـة التـي تقـوم عـلى مجلـس الشـيوخ، وأصبح حامـل هـذا اللقـب يعنـي انـه قـاطن بإحـدى المقاطعـات الإمبراطوريـة، وبهـذا أصـيب تسـلط الأرسـتقراطية الرومانيـة في الصـميم وأحـبط مـن شانها.
- حـافظ عـلى أحـد المقومـات الكـبرى للإمبراطوريـة بتحويل جميع مدن المقاطعات مساوية لروما في معظم المجـالات وقـد اسـتمرت الإمبراطوريـة بعـد ذلك محتفظة بهذه المميزات والمقومات والأسس لمدة زمنية طويلة.

الهَوامِشُ:

(1) Bonifacio, A., Maréchal, P., Histoire Orient .Grèce, Rome, École secondaire, Paris, 1962, p .225 .

(2) Dion Cassius, Histoire romaine, trad. E. Gros, V. Boissée, t.2, Librairie de Firmain Didot, 1870, Paris, p. 126.

(3) Ibid., p. 127.

(4) Ibid., p. 161-163.

(٥) الناصري، س.أ.ع.، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري**، ط.٢، دار النهضة العربية، ١٩٩١، القاهرة، ص.٣٠٦-٣٠٨.

(6) Suétone, Les écrivains de l'Histoire Auguste: Eutrope, Sextus Rufus, trad. M. Nisard, Garnier Frères, Libraires, 1851, Paris, p. 388.

(٧) دياكوف، ف.، كوفاليف، س.، **الحضارات القديمة**، ج.١. تر. نسيم وكيم اليازجي، ط.١، منشورات دار علاء الدين،2000 دمشق، ص. ٦٨٣.

(8) Suétone, op.cit., p. 389.

(٩) الناصري، س.أ.ع.، المرجع السابق، ص. ٣١٤.

(١٠) أبو اليسر، ف.، **تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان**، ط.١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢، القاهرة، ص. ١٩١.

(١١) جيبون، إ.، **اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها**، ج.١، تر. محمد علي أبو درة وأحمد نجيب هاشم، ط.٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، القاهرة، ص. ١٢٧.

(١٢) الناصري، س.أ.ع.، المرجع السابق، ص. ٣١٥.

(13) Dion Cassius, op.cit., p. 175.

(١٤) دياكوف، ف.، كوفاليف، س.، المرجع السابق، ص. ٦٨٣.

(15) Suétone, op.cit., p. 314-315.

(16) Ibid., p. 391.

(١٧) الناصري، س.أ.ع.، المرجع السابق، ص.٣١٠.

(18) Hérodien, Histoire Romain, trad. Lion Halévy, Librairie De Firmain Didot, 1860, Paris, p.89.

(19) Suétone, op.cit., p. 391.

(20) Dion Cassius, op.cit., p. ٢٠٩.

(21) Hérodien, op.cit., p . 103.

(22) Suétone, op.cit., p. 392.

(٢٣) الناصري، س.أ.ع.، المرجع السابق، ص. ٣١٢.

(٢٤) شنيتي، م.ب.، **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤، الجزائر، ص.١٦.

(٢٥) رستوفتزف، إ.م.، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي**، ج.١، تر. ومراجعة زكي علي ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧، القاهرة، ص. ٤٧٤.

(26) Suétone, op.cit., p. 393.

(٢٧) الناصري، س.أ.ع.، المرجع السابق، ص. ٣١٠.

(٢٨) رستوفتزف، إ.م.، المرجع السابق، ص. ٤٧٥.

(29) Dion Cassius, op.cit., p. 8.

(30) Ibid., p. 13.
(31) Ibid., p .٢٥١.
(٣٢) الحويري، م.م، **رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية**، دار المعارف، ط.٣، ١٩٩٥، القاهرة، ص.١٥-١٦.
(33) Hérodien, op.cit.,p.118.
(٣٤) الناصري، س.أ.ع.، المرجع السابق، ص.٣٢٣.
(٣٥) تشارلز ورث أ.ب، **الإمبراطورية الرومانية**، تر. رمزي عبده جرجس ومراجعة محمد صقر خفاجة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣، القاهرة، ص. ١٨٢.
(٣٦) رستوفتزف، إ.م.، المرجع السابق، ص. ٤٧٦.
(٣٧) دياكوف، ف.، كوفاليف، س.، المرجع السابق، ص. ٦٨٦.
(٣٨) شنيتي، م.ب.، المرجع السابق، ص.٢١.
(٣٩) نفسه، ص. ١٧.
(٤٠) رستوفتزف، إ.م.، المرجع السابق، ص. ٤٠٣.
(٤١) نفسه، ص.٤٧٧.
(42) Hérodien, op.cit., p. 120.
(٤٣) الناصري، س.أ.ع.، المرجع السابق، ص.٣٢٠.
(٤٤) نفسه، ص.٣١٩.
(٤٥) رستوفتزف، إ.م.، المرجع السابق، ص. ٤٧٩.
(٤٦) نفسه، ص. ٤٨١.
(٤٧) الناصري، س.أ.ع.، المرجع السابق، ص.٣٢٢.
(٤٨) شنيتي، م.ب.، المرجع السابق، ص. ١٨.
(٤٩) رستوفتزف، إ.م.، المرجع السابق، ص. ٤٠٥.
(٥٠) الناصري، س.أ.ع.، المرجع السابق، ص.٣٢٠.
(٥١) رستوفتزف، إ.م.، المرجع السابق، ص. ٤٨٤.
(٥٢) الناصري، س.أ.ع.، المرجع السابق، ص.٣١٥.
(٥٣) شنيتي، م.ب.، المرجع السابق، ص.١٧.
(٥٤) الناصري، س.أ.ع.، المرجع السابق، ص.٣١٥.
(٥٥) رستوفتزف، إ.م.، المرجع السابق، ص. ٤٨٨.
(٥٦) شنيتي، م.ب.، المرجع السابق، ص.١٦-١٧.
(٥٧) رستوفتزف، إ.م.، المرجع السابق، ص. ٤٨٩-٤٩٢.
(٥٨) الحويري، م.م.، المرجع السابق، ص. ١٥-١٦.
(٥٩) أرنولد توينبي: **تاريخ البشرية**، تر. نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع،١٩٨٨، بيروت، ص.٣٥٤-٣٥٦.
(٦٠) جيبون، أ.، المرجع السابق، ص.١٢٥.